

الفقيه محمد بن سليمان اليفري الكومي الندرومي:
صورة من واقع المشهد الثقافي في حاضرة تلمسان

~~~~~ د. لخضر بولطيف\*

شهدت تلمسان على عصر الموحدين حضورا متريدا في مجالي العلم والسياسة، فضلا عن اضطلاع بيت بني عبد المؤمن الكومي الندرومي وقيله بشؤون الحكم والدولة، فقد نبغ في تلمسان وأحواها عدد من الأعلام المرموقين؛ لعل من أبرزهم فيمن حاز قصب السبق في العلم والمعرفة، الفقيه العالم المتفنن المعمر محمد بن سليمان اليفري الكومي الندرومي.

إن تسليط الضوء على هذه الشخصية المتحللة من أسرة ندرومية تلمسانية عريقة، ليس الغرض منه إخراجها من طي النسيان، والتويه بتراتها المخطوط والمطبوع، فحسب، مع أنه في حد ذاته مطلب ملح ومشروع، بل إن ذلك من شأنه -أيضا- أن يمدنا بالمعطيات الضرورية، التي لن نكون في غنى عنها إذا ما رمنا رسم معالم المشهد الثقافي لحاضرة تلمسان في عصر بلغ الحراك الثقافي أوجه، وأضحى الاستقطاب العلمي ظاهرة العصر.

وسنحاول -فيما يلي- رصد مختلف أطوار حياة هذه الشخصية العلمية، وما كان له من أثر في مجتمعه، وما قلّمه من إضافة إلى رصيد المعرفة الإسلامية في عصره.

01- اسمه ونسبه: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان اليفري<sup>(1)</sup> -ويقال البطوني<sup>(2)</sup>

الكومي<sup>(3)</sup>، ندرومي الأصل<sup>(4)</sup>، تلمساني الموطن<sup>(5)</sup>، ولا نعرف متى استقر سلفه بها.

وإذا كانت نسبته إلى كومية<sup>(6)</sup> لا يعريها الشك، لكن تردّد بعض النسابة بين إلحاقه بالأرومة البربرية أو الأرومة العربية؛ ففي حين ينهب النهجي (ت 748هـ/1348م) إلى إثبات نسبه بوصف "البربري"<sup>(7)</sup>، فإن السجّي (ت 610هـ/1213م) يقول فيه "القيسي"<sup>(8)</sup>.

\*- أستاذ محاضر أ في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم التاريخ- جامعة محمد بوضياف- المسيلة.

ويحضرنا هنا موقف عبد المؤمن بن علي - فيما يرويه عبد الواحد المراكشي - كان إذا ذكر قبيله "كومية"، يقول: "لست منهم، إنما نحن لقيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ولكومية علينا حق الولادة والمنشأ فيهم، وهم الأخوال"<sup>(9)</sup>. ويردف صاحب المعجب قائلا: "وهكذا أدركت من أدركت من أولاده وأولاد أولاده يتسبون لقيس عيلان بن مضر"<sup>(10)</sup>، وهو ما اعتبره ابن خلدون مردودا عليهم<sup>(11)</sup>.

02- مولده ووفاته: يرتبط مولد أبي عبد الله بن عبد الحق كما وفاته بمدينة تلمسان، وتتفق المصادر التي عنت بترجمته على أنه عمّر طويلا؛ فهو قد "تيف على الثمانين"<sup>(12)</sup>، أو أنه "قارب التسعين"<sup>(13)</sup>، إلا أن آيا منها لم تأت له الجزم بتاريخ مولده، إذ أن الشك وقع من صاحب الترجمة نفسه - حسب تلميذه الرعيي - أن يكون وُلد سنة 536هـ / 1141م أو سنة 537هـ / 1142م<sup>(14)</sup>.

وسواء عادت الصحة إلى التاريخ الأول أو الثاني، فإنهما يحيلان على فترة حرجة من تاريخ تلمسان؛ إذ كانت - وقتئذ - عرضة للصراع الذي نشب بين المرابطين والموحدين، والذي أفضى إلى حصار المدينة، ثم سقوطها سنة 539هـ / 1144م بيد جيش عبد المؤمن، الذي أقدم على مجزرة شيعته في حق أهلها<sup>(15)</sup>، لا نستبعد أن تكون قد ظلت أصداؤها ماثلة في مخيال الفقيه التلمساني.

أما بالنسبة لتاريخ وفاته؛ فباستثناء رواية ابن الزبير - فيما ينقله عن شيخه ابن فرتون - التي تجعله سنة 623هـ / 1226م<sup>(16)</sup>، فإن سائر الروايات تجعله سنة 625هـ / 1228م<sup>(17)</sup>. وهو تاريخ يحيل - أيضا - على وضع دقيق كانت تعيشه تلمسان، في ظل انقراض أمر الموحدين، وإدبار شأن بني عبد المؤمن وقبيلتهم العيلة كومية، لصالح بني عبد الواد الذين سرعان ما آلت المدينة إليهم<sup>(18)</sup>.

03- تحصيله العلم: شهدت بلاد الغرب الإسلامي إبان القرن 12هـ / 1206م أحد أزهى عصور الثقافة الإسلامية في تاريخها، حيث تنافست حواضر المغرب والأندلس على استقطاب أساتذة العلم وطلاب المعرفة، الذين أسهموا في رسم معالم مشهد ثقافي-فكري، اتسم بالثراء والتنوع وأصالته العطاء العلمي-الأدبي، ومن ثم تأتى لأبي عبد الله بن عبد الحق التلمساني أن ينهل من معين العلوم والمعارف التي كان يزخر بها محيطه، والتي كان يقوم على بثها وتلقيها جهاذة فقهاء العصر وفطاحلة علمائه.

ويلو أن حرصه على لقاء شيوخ العلم، والاستكثار من الأخذ عنهم، كان من بين دواعي مباهاته بما تهيأ له - مما لم يتهيأ لكثير من أتباعه ولِداته - من علو الإسناد واتساع الرواية. ولم

يتردد كتاب التراجم في إثبات أنه "لقي كثيرا من أهل العلم والدين والزهد والورع، فأخذ عنهم بفاس، ومراكش، وبسطة، وإشبيلية"<sup>(19)</sup>، فضلا عن تلقيهم ببلده، أو أجاز له من بلاد المشرق<sup>(20)</sup>. وقد ضمن ذكرهم، وكيفية تلقيه عنهم، برنامج الذي سماه "الإقناع في ترتيب السماع"<sup>(21)</sup>. ومن حسنات منهج الاستقصاء الذي اعتمده ابن عبد الملك في كتابه "الذيل والتكملة" أن أمكننا الوقوف في ترجمة الفقيه التلمساني على برنامج المذكور<sup>(22)</sup>، والذي جاء فيه أنه:

روى ببلده -تلمسان- عن: أبيه أبي محمد عبد الحق بن سليمان<sup>(23)</sup>، وأبي محمد بن عمران التليدي، وأبي بكر بن عُصفور، وأبي بكر اللقّني<sup>(24)</sup>، وأبي الحسن جابر بن محمد، وأبي الحسن بن أبي قنّون<sup>(25)</sup>، وأبي علي حسن بن الحرّاز<sup>(27X26)</sup>.

وصحب الزاهدين الفاضلين: أبا عبد الله بن مَحْيُو الهواري<sup>(28)</sup>، وأبا مَدَيْن شعيب بن الحسن الأندلسي.

وبفاس عن: أبي الحسن بن حُثَيْن<sup>(29)</sup>، وأبي عبد الله بن الرّامة<sup>(30)</sup>، وأبي محمد قاسم بن الرّقاق، ولقي بها أبا الحسن اللّواتي وأجاز له.

ومراكش عن: أبي الجيش مجاهد، وأبي عبد الله بن خليل، وأبي عبد الله بن الفخّار، وأبي القاسم بن حُيَيش، وأبي القاسم السُّهيلي.

وبها وإشبيلية عن: أبي بكر بن الجَدِّ، وأبي جعفر بن مَضَاء، وأبي الحسن نُجْبَة، ولقي بها أبا عمران الزاهد.

وبسطة عن: أبي محمد بن عُيَيْد الله، وصحب بها أبا الصبر أيوب، ولقي أبا الحسين بن الصائغ، وأبا عبد الله بن حميد، وأبا محمد عبد المنعم بن الفرس.

وأجاز له<sup>(31)</sup> من أهل الأندلس: أبو بكر بن خَيْر- أبو بكر بن رَزَق- أبو بكر بن ثمارَة- أبو الحسن بن هُذَيْل- أبو الحسن بن التّعمة- أبو العباس الخروبي- أبو القاسم بن بَشْكُوَال.

ومن أهل المشرق: أبو طالب التَّنُوخي- أبو طاهر السِّلْفِي- أبو طاهر بن عَوْف- أبو طاهر بن معشر<sup>(32)</sup>- أبو عبد الله الحضرمي- أبو عبد الله الرّحْبي المصري- أبو عبد الله الكركِنّي- أبو القاسم البوصيّري- أبو يعقوب بن الطُّفَيْل الدَّمشقي.

مهما بدت عليه هذه القائمة الاسمية -التي استعرضنا- من سعة وشمول، بحكم أنها مستفرغة من برنامج شيوخ صاحبها، إلا أن ذلك لا يعني إحاطتها بجميعهم، إذ لا نعلم ذكرا

لغيرهم في مظان أخرى؛ ومن ذلك: أبو تميم ميمون بن جُبارة بن خَلْفُون البرْدَوِي<sup>(34)</sup>، وأبو الحسن علي بن عتيق بن مؤمن الأنصاري<sup>(35)</sup>.

04- إفادته العلم: كان الجلوس للتدريس، والقيام على بث العلم، من أبرز ما يميز الشيوخ المتمرسين، ويعلو بهم فوق أتباعهم، وكانت حلق نيهاء المشايخ تغصّ بطلبة العلم، الذين يؤمّونها من جميع البلاد ومختلف الأقطار. وتثرى الشهادات منوّهة بشأن الفقيه أبي عبد الله بن عبد الحق التلمساني، فتحلّيه بـ"الشيخ، الفقيه، الأجل"<sup>(36)</sup>، أو "الفقيه، الحدّث، المحقّق"<sup>(37)</sup>، ولربما نعت بـ"العلامة"<sup>(38)</sup>، أو "الإمام المتّقن"<sup>(39)</sup>.

ويكون ما تمتع به الفقيه التلمساني من مؤهلات علمية، قد هيّاه للاضطلاع بمهمة التدريس، فإنه -يقول الرعيّني- "كان في بلده متصدياً لإفادة العلم"<sup>(40)</sup>. وعلى ما يمكن أن يُلتَمَح من أنه لازم بلده بعد أوان الطلب، فلم يسجّل له حضور مشهود خارجها، فقد قصده طلبة العلم رغبة في تحصيل ما ينتحل من علوم ومعارف، أو استجازوه -على النأي- فيما وضع من كتب أو أسند من رواية.

ومع ذلك لا نكاد نقف إلا على عدد محدود من تلاميذه، عنى ابن عبد الملك<sup>(41)</sup> بتقيد أسمائهم في الترجمة التي خصّ بها أستاذهم، وهم أبو الحجاج بن محمد بن علي الأسدي، وأبو زكريا بن أبي بكر بن غصنور<sup>(42)</sup>، وأبو عبد الله بن أبي بكر البرّي، وأبو عبد الله بن علي بن حمّاد<sup>(43)</sup>، وأبو العباس الموروري، وأبو العيش محمد بن عبد الرحيم الأنصاري، وأبو موسى بن يوسف بن تاعحجلت<sup>(44)</sup>.

وحدّث عنه بالإجازة: أبو الحسن الرعيّني<sup>(45)</sup>، وأبو علي المافري، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن القاسم بن رَغْبُوش، وغيرهم.

ويمكن المتبع لكتب التراجم والطبقات أن يظفر بالمزيد من أسماء الآخذين عنه، على غرار:

- أبو بكر محمد بن يوسف بن مُسَدّي الأزدي الغرناطي، فإنه يعد من المكثرين في الرواية عنه<sup>(46)</sup>.
- أبو عبد الله محمد بن الحسين الحُشْنِي البجائي، فإنه استجازه، فأجازوه. وقد احتفظ لنا العُبريني بنص كتاب الاستجازة، وجاء فيه (بعد البسملة والتصليّة):

"يرغب إلى الشيخ الأجلّ، الفقيه الزكيّ، العالم الحافظ، المقيد المتقن، العلامة الأكمل، بقية الجِلّة الفضلاء الأكابر أهل العلم، أبي عبد الله ابن الشيخ الفقيه الزكي المرحوم أبي محمد عبد الحق بن

سليمان، أكرمهم الله برضاه، وحرس مجدهم وتولاه، مُعَظَمُ مقدارهم، وملتزم برّهم وتوقيرهم وإيثارهم، العارف بحقيهم، العليم بتقديهم وسبقهم، محمد بن محمد بن الحسين الخشني، في الإنعام عليه بإجازة هذا البرنامج، الذي تضمن ذكر أشياخه الجلّة الفضلاء، رضوان الله عليهم وعليكم أجمعين، بحيث يحمل ذلك عنكم، ويتشرف بأخذه منكم، وفضلكم بذلك كله كفيلاً، وثوابكم عليه عند الله عز وجل جزيل، والله يقي ببركاتكم الانتفاع، ويحسن عن أرجائكم الواقع، وأفضل سلام الله عز وجل، وأوفى تحياته وأزكاها، وأعظمها عرفاً وأذكاهها، يخص مقامكم الأعلى، ورحمة الله وبركاته<sup>(47)</sup>.

فأجابه بما نصّه (الكتاب مؤرخ في ذي الحجة 603هـ/1207م): "أجبتك بأحسن تحية، ولما جاء به خير البرية، نعم وأجبتك إلى ما سألته وطلبتة إجابة من يعلم أنك أهل له، وإذن من تحقق أنك قائم به لشواهد طلبك، وبوارع أدبك، إجابة عامة بشرطها، فتلقها تلقى أمثالك، واعمل حسابها عمل نظرائك، والعمل جمال العلم، وخادم له مرتبط به لمن أراد السعادة، وسعى لها، قال تعالى: ((إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ))<sup>(48)</sup>، مع شروط الإجازة عند أهلها القائلين بإجازتها، جعلنا الله وإياكم ممن استمع القول، واتبع أجمله، ومن ختم بالحسنى عمله، آمين<sup>(49)</sup>.

- أبو زكريا يحيى بن حبوس الهمداني البجائي، هو الآخر معلود من الآخذين عنه بطريق الإجازة، إذ كتب إليه يستجيزه بما نصّه: "يرغب إلى الشيخ الفقيه الزكي المحصل الأفاضل، أبي عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الفاضل، أبي محمد عبد الحق بن سليمان، أدام الله كرامته، وأبقى بركته، ووصل رفعة، مُجَلَّ قلدّه، ومؤثر برّه، الراغب في بركات دعائه، وإلى الله تعالى في إطالة بقائه، يحيى بن علي بن حسن بن حبوس الهمداني، في الإنعام عليه بإجازة ما اشتمل عليه برنامج روايته عن أشياخه رضي الله عنهم، وما سند عنه من قراءته ومسموعاته، وإجازته ومناولاته، وتآليفه في فنون العلم، وما له من نثر ونظم، منعماً، ومتفضلاً عليه بالإسعاف بمطلوبه من ذلك، والإجابة إليه، والله عز وجل يعين على برّه، ويمتّع ببركاته، وبصالح دعائه، والسلام الأتم، الجزيل المبارك الخفي، يخصه ورحمة الله وبركاته<sup>(50)</sup>.

فأجابه بما نصّه (الكتاب مؤرخ في جمادى الثانية 615هـ/1218م): "أجزت لكم أكرمكم الله جميع ما سألتموه، وأجحت لكم من ذلك ما طلبتموه إجازة عامة على شروطها المعمول بها عند

القائلين، إذ أنتم أهل لذلك، نفعمكم الله ونفع بكم، فلتستعمل نفسك، ولتوخ هديك، في العمل بمقتضى ما علمك الله من ذلك، أبلغكم الله أملكم، وختم بصالح عملنا وعملكم<sup>(51)</sup>.

وتعقيا على ما تردد في إجابة الفقيه مستجزيه عن "شروط الإجازة عند القائلين بها"، نستأنس بما أورده - بهذا الشأن - شيخه ابن خير الإشيلي، إذ يقول: "وأما الإجازة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، فقد اختلف فيها؛ فأجازها أكثر أهل العلم، ...؛ وأختلفت الرواية فيها عن مالك، رحمه الله، والأشهر عنه جوازها، وعلى ذلك أصحابه الفقهاء، لا يعلم أحد منهم خالفه في ذلك؛ ومنعها بعض العلماء، ولا تقوم على منعها حجة - ولمالك - رحمه الله - شروط في الإجازة: وهو أن يكون الفرع معارضا بالأصل، حتى كأنه هو؛ وشرط آخر، وهو أن يكون [المجيز] عالما بما يُخبر به، ثقة في دينه وروايته، معروفا بالعلم؛ وشرط ثالث، وهو أن يكون [المستجيز] من أهل العلم، ومتسما بسمته، حتى لا يضع العلم إلا عند أهله"<sup>(52)</sup>.

وإذا بدا أن هذه الشروط المقررة هي ما قصد الفقيه أبو عبد الله بن عبد الحق إلى تحقق مستجزيه بها، لكن ما يستوقنا - حقا - هو ما ساقه ابن الأبار في ترجمة الفقيه من أنه "حدث، ودرس، وغيره أمتن تحصيلًا منه، وأحسن تصرفًا"<sup>(53)</sup>، إذ يحملنا ذلك على التساؤل فيما إذا كان رأي ابن الأبار ينم عن جراءة في القول لم تواتر غيره ممن ترجم للفقيه التلمساني؟ أم أن رأيه لا ينفك عن تحامل ربما كان ثمة ما يبرره؟

إن ما يلفت الانتباه أن ابن عبد الملك المراكشي (ت 703هـ/1303م)، وهو أكثر من عرف من بين كتاب التراجم بالصراحة في القول، والتروع إلى النقد، إلى حد أنه كان يلون كل ما يعرفه من أحوال المترجمين، أو يقع إليه من أخبارهم، ولو كان مشتملا على ما يمس بأقدارهم؛ إلا أنه لم يزيد في ترجمته لابن عبد الحق عن القول إنه "كان راوية للحديث، فقيها حافظا، متكلمًا، منفنا في علوم جمّة، بارع الكتابة، حسن الخط"<sup>(54)</sup>، وهو بذلك لا يبعد في التنويه به عن معاصره الغبريني (ت 704هـ/1305م) الذي تناوله في معرض ترجمته للفقيه الزاهد ابن يّكي، فجعله صنوه وكفاه، وفي الأخير منهما يقول: "كان من جملة أهل العلم، ومن أكابر أولي التّهي والفهم، ... وكانت له وجهة وعلو قدر ورفعة في الدين والعلم، وسمو نظر، وهو من نظراء العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني"<sup>(55)</sup>.

وإذا كان مما قد يؤخذ على هاتين الشهادتين في مقابل رأي ابن الأَبار، هو صدورهما عن مغربين ربما حملهما على ما أثبتاه داعي الانتصاف لبلديهما، إلا أن صدور شهادة معاصريهما الأندلسي ابن الزبير (ت 708هـ/1308م) في الاتجاه نفسه -بقوله في حق الفقيه التلمساني "وكان حافظاً، من أهل الضبط والتقيد... وكان فصيحاً لساناً، شاعراً كاتباً مشاركاً"<sup>(56)</sup>- يجعل من غير الإمكان الركون إلى ما أدلى به ابن الأَبار، دون استحضار ما شهر به الكاتب الأندلسي من إخضاع من شأن نبهاء المغاربة، إلى حد أنه لم يتورع عن إلحاق بعضهم بالأندلسيين، ضمانة بعلمهم عن العدوة (المغربية) على حد تعبيره<sup>(57)</sup>.

وقد تبعه لأجل ذلك ابن عبد الملك وأُخى عليه باللاحمة في قوله: "وحسبك ما اشتمل عليه القول من الشهادة على قائله بما لا يليق بأهل الإنصاف من العلماء، واستحكام الحسد للزعم، واحترار طائفة كبيرة من الجلالة العدوين، وفضل الله سبحانه رحمةً يختص بها من يشاء"<sup>(58)</sup>.

05- مؤلفاته: ذاعت للفقيه أبي عبد الله بن عبد الحق التلمساني شهرة واسعة في مجال الكتابة والتأليف<sup>(59)</sup>؛ بالنظر إلى ما وضعه من مؤلفات كثيرة، حرص على إثبات عناوينها، وعدد أجزاءها، في برنامج الموسوم "الإقناع في ترتيب السماع"، وهو -فيما يصف ابن الزبير- "برنامج حسن ضم فيه مرويَّاته، وذكر فيه شيوخه، وسمى فيه ما ألف وقَّده"<sup>(60)</sup>. وقد تأتى لابن عبد الملك -كما لشيخه أبي الحسن الرعيني- الاطلاع على البرنامج المذكور، ولئن لم يحتفظ ثانيهما إلا بعدد محدود من عناوين مؤلفات الفقيه التلمساني، التي قال في بعضها إن لها "أسماء هائلة"<sup>(61)</sup>، وإنه لم يقف منها على شيء، فإن أولهما قدّر أهمية نقلها برمتها "ليقف عليها المتشوّف إليها"<sup>(62)</sup>.

قال ابن عبد الحق التلمساني -فيما ينقل عنه ابن عبد الملك-: "مراتب تواليقي:

- الفَيْصَلُ الجازم، في فضيلة العلم والعالم<sup>(63)</sup>، في مراتب العلوم. جزء.
- برنامجي، وهو كمراتب التواليف، وسميته: الإقناع، في كيفية الإسماع"<sup>(64)</sup>. جزء.
- لباب الإعراب. جزء كبير.
- فرقان الفرقان، وميزان القرآن<sup>(65)</sup>. جزء.
- عقيدة عليّة الخلق، وزبدة معرفة الحق، المصنون بما على غير أهل الصديق. جزء.
- غريب الشَّهاب. جزء.

- إكمال الآلي، على الأمالي. سفران.
  - غريب الموطأ<sup>(66)</sup> وإعرابه. سفر. وسميته: الاقتضاب<sup>(67)</sup>، لأني اقتضيته من الكتاب الكبير، كتاب المختار، الجامع بين المتقى والاستذكار<sup>(68)</sup>، بزيادات التمهيد وغيره، تونق النفوس، وتروق الأبصار<sup>(69)</sup>، في نحو العشرين سفر<sup>(70)</sup>، يشتمل على نحو الثلاثة آلاف ورقة<sup>(71)</sup>.
  - مختار المختار، بين يدي مختصر كتاب البخاري. في سفر كبير.
  - جزء من شعري منتخل<sup>(72)</sup>.
  - ميزان العمل. جزء كبير.
  - إرشاد المسترشد، وبغية المريد المستبصر اجتهد<sup>(73)</sup>. سفر صغير.
  - الإيماء إلى نجاة المريد. جزء.
  - النبذة المُسعدة، واللمحة المُصعدة، في الاعتبار. جزء.
  - النكت المحررة، والفصول المخبرة، في حقيقة التزیه، ونفي التشبيه. جزء.
  - الأجوبة المحررة على المسائل المغيرة. جزء.
  - التسلي عن الرزية، والتخلي بالرضا بقضاء باري البرية<sup>(74)</sup>. جزء.
  - مجموع شعري في المواعظ. جزء.
  - نفثة ذي الضراء، ومسلاؤه برثاء الآباء الأبناء. جزء كبير.
  - التذكرة، للنوادر المتخيرة. مضى منه نحو ثلاثة أسفار، ولم يتم، وهو بين يدي.
  - حدود أنواع الحكم الشرعي. جزء.
  - مستصفي المستصفي. ابتدئ، ولم يتم.
  - فصل المقال، في مناقل أحوال غزوة أهل الإلحاد والضلال، إلى طليطلة - كذا- . جزء<sup>(75)</sup>.
- على أن ما يلفت الانتباه في هذه القائمة هو "الترتيب" الذي راعى المؤلف اتباعه في إيرادها، وهو ما يكشف عنه في قوله: "وكيفية ترتيبها أن أول ما ينبغي أن يُلقى إلى ما يعتني به في طلب العلم هو فضل العلم، لينهض إلى طلبه عن حرص ورغبة فيه، ثم مراتبه [ليرتب العلوم الكثيرة؟] في مراتبها، فيعلم الأعلى من الأدنى، والكلي من الجزئي، والآلة [من الأصل] المقصود، واللاحقة من السابقة، فيرى كل علم منها في رتبته، فيقصد إلى الأعلى منها فيجعله وكده، وينظر في غيره نظر مشاركة واستبصار، لئلا يجهله فيعاديه وأهله، ثم يُلقى إليه ما هو

كالآلة من العلوم، كعلم مدارك العقول، وعلم اللغة والإعراب، ثم يُلقى إليه الشقه في الحديث الذي هو الأصل، وعلم أسرار علوم الدين الذي هو كالثمرة، ثم يتبع بما هو كاللثة للعلوم، وكالمبتدع من جهلتها، مما لا يختص بعلم منها، فلذلك رتبها هذا الترتيب، فبدأت بفضل العلم ومراتبه، وثبتت بالآلة منه، وثالثت بالأصل منه، وختمت بما هو كالمبتدع من جهلتها، وكاللثة والتكميل منه، والحمد لله على هدايته<sup>(76)</sup>.

ومع أن القائمة السابقة جاءت -بحسب ما ورد في ختام البرنامج<sup>(77)</sup>- مؤرخة بشهر رجب 600هـ/1204م، إلا أننا لا نقف للفقيه التلمساني على مؤلفات غيرها في أي من المصادر التي بين أيدينا، وإنما نستبعد أن يكون مؤلف أكثر مثله قد انقطع عن التأليف طوال الخمس وعشرين سنة التي أعقبت ذلك من حياته، إلا أن تكون تبعات التقدم في السن -وقد تجاوز الستين- أثقلت كاهله، وصرفته عن ذلك.

يبد أننا نتساءل فيما إذا كان كتاب "نظم العقود ورقم الحلل والبرود" الذي ينسبه إليه إسماعيل باشا البغدادي<sup>(78)</sup>، ليس منحولاً عليه، أو ربما كان لغیره ممن يشترك معه في الاسم، ونسب إليه على سبيل الاشتباه والالتباس، إذ أن البغدادي يسوق الكتاب المذكور بعد كتابي "المختار" و"التسلي"، ويجعل تاريخ فراغه من وضع هذه الكتب سنة 588هـ/1192م، فلو صحّ ذلك ما كان عزب عن المؤلف إدراج كتابه ضمن قائمة مؤلفاته التي وضعها قبل سنة 600هـ/1204م.

ويلو أن تساؤلاتنا المعلنة ليست سوى في محلها، إذ نستحضر -بهذا الصدد- أن الكتاب المذكور ما هو إلا ديوان شعري تأكدت نسبته إلى الشاعر الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الزناتي الكومي (ت 1208/604م)<sup>(79)</sup>، عدا أن الذي جمعه كان كاتبه محمد بن عبد الحق الغساني، وذلك في حدود سنة 588هـ/1192م كما في نسخته الخطية<sup>(80)</sup>، وهو ما يفسر الالتباس الذي وقع لإسماعيل البغدادي، إذ اشتبه عليه اسم جامع الديوان، وظنه محمد بن عبد الحق التلمساني.

بقي أن نشير إلى أن الفقيه التلمساني جمع إلى عنايته بالتدوين والتصنيف، شغفا بجمع الكتب واقتنائها، بل طالما عكف على استنساخ النادر منها، حتى اجتمعت له مكتبة عامرة بنفائس المؤلفات، وأمهات الدواوين، مما لم يجتمع لأحد من معاصريه<sup>(81)</sup>.

06- مكانته الاجتماعية: على الرغم من أن المصادر لا تمدنا إلا بالتر اليسير فيما يتصل بسلفه، ومع ذلك يمكن أن نستمد من تلك المعطيات القليلة أنه ينحدر من أسرة كانت على درجة من الواجهة والباهة وعلو الصيت<sup>(82)</sup>، فقد أتيح لوالده أن يشغل بتلمسان -ردحا من الزمن- خطتي الخطابة والقضاء، قبل أن ينصرف عن ذلك، ويرحل إلى المشرق، ويوفى هناك سنة 571هـ/1175م، في سلوك يوصف بأنه "ميل إلى الزهد، ورفض للدين"<sup>(83)</sup>.

ولربما كان لنا حريا بنا أن نتساءل فيما إذا كان انصراف والده إلى المشرق رهن دواع شخصية عارضة، غير ذات صلة بمسألة الولاء السياسي، إذ في حالات مماثلة رفض بعض خطباء وقضاة العهد البائد التعاون مع الموحدين؛ شأن خطيب بجاية أبي محمد بن الخراط (ت 581هـ/1185م)<sup>(84)</sup>، أو قاضي مرسية أبي بكر بن أبي حمزة (ت 599هـ/1202م)<sup>(85)</sup>، ولئن كان عدد من هؤلاء آثر المكوث ببلده متحملا ضروبا من الإيذاء والتضييق، فإن آخرين فضلوا المغادرة نحو المشرق.

ومهما يكن فقد احتفظ أبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني بما تأتى لسلفه في الزمن الغابر، فلم ينفك عن الواجهة والنفوذ، ولا عن ولاية خطة القضاء.

وتتعاقد المصادر على أنه ولي قضاء بلده<sup>(86)</sup>، ويضيف بعضها أنه وليه مرتين<sup>(87)</sup>، مشهودا له في كل ذلك "بالعدل، والإنصاف، والجزالة"<sup>(88)</sup>. كما نعتبه بأنه كان "من أهل السراوة والجلالة"<sup>(89)</sup>، وبقلر ما لم تتردد في الإفصاح عن اختصاصه بحكام عصره، ومدى حظوته لديهم<sup>(90)</sup>، فإنها قررت -أيضا- حظوته لدى الناس "خاصتهم وعامتهم"<sup>(91)</sup>، وذلك أمر قلما اتفق لمن يتردد على مجالس السلطان، مع ما تقرر في المجال التداولي لأدبيات الفكر الإسلامي من أن الدخول على السلاطين مظنة الدنية، ومجلبة للمنقصة<sup>(92)</sup>.

وإذا كان يعين علينا -بهذا الصدد- أن نذكر بما أقدم عليه عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين -في سبيل التمكين لشخصه ضمن التحالف المصمودي- من استدعاء لقياته "كومية"، واستدناء لها، حتى أضحت بمكانتها تلك -على حد تعبير ابن خلدون-: "فاتحة الكتاب، وفذلكة الجماعة"<sup>(93)</sup>، فإنه يمكننا أن ندرك -حينئذ- سر تلك المكانة التي تبوأها الفقيه التلمساني، وندرك -

أيضا- سر اتساع ثروته، اعتمادا على ما كان يغدق به خلفاء بني عبد المؤمن على المقرين منهم من عطاءات وفيرة، وإعامات سنّية<sup>(94)</sup>.

لكن وبصرف النظر عما يتنوّع به الفقهاء المترددون على مجالس الحكام، بما يروجونه من إعزاز حق، أو نصرة دين، فإنه يلزّنا توخيا للإنصاف، أن نسوق جُملا مما لم تتكتم عليه مصادر ترجمة الفقيه ابن عبد الحق، وما فتت تنوّه به، من أنه على ما أصابه من جاه ونفوذ، وما حازه من ثراء ويسار، إلا أنه كان "نفاعا بماله وجاهه"<sup>(95)</sup>، مسارعا إلى قضاء مصالح أهل بلده، حريصا على مساعدة المحتاجين والآخرين<sup>(96)</sup>.

07- سجايه ومناقبه: قد يكون من غير المتوقع بالنسبة إلى رجل تربطه تلك العلاق الوثيقة بالمال والسلطة -حتى غدا من سماته المعهودة كونه "بهيح المنظر، رائق الملبس"<sup>(97)</sup>- أن يقال فيه إنه "من أهل التقشّف"<sup>(98)</sup>، لكن طالما كان الإقبال على الزهد، أو الانخراط في التصوف، رد فعل طبيعي لدى العديد من الفقهاء<sup>(99)</sup>، فمن ينشغلون بتحقيق نوع من التوازن النفسي بين نوازع للمادة وأشواق الروح. فهل يكون هذا التفسير مما ينطبق على حال قضيها؟

إننا قد لا نجد أنفسنا في حلّ من قبول هذا التفسير لاسيّما إذا كان نزوعه إلى الزهادة جاء منه على كبر، وما تجلبه على صاحبها من إيجاءات الإعراض عن الدنيا، وإطراح مباحيها، على أننا لا نغفل أيضا استعدادات الرجل الذي درجت المصادر على الإشادة بـ "جميل سيرته"<sup>(100)</sup>، و"حسن خُلُقِه"<sup>(101)</sup>، و"واسع مروءته"<sup>(102)</sup>؛ فإنه إذا اجتمع هذا إلى ذاك وسعنا فهم لمتّرع الزهدي للرجل.

أما من أبرز الشواهد الدالة على صلته بالتصوف وآله، هو ما ينقله الغبريني في قوله: "ورأيت في فهرسة أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني، بعد ذكره لفضل الشيخ أبي مدين، وبعد وصفه إياه ببعض أوصافه الجليلة، أنه قال: ظهر فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يَمُوتُ الْمَرْءُ عَلَى مَا عَاشَ عَلَيْهِ))"<sup>(103)</sup>؛ إذ كان من قوله عند آخر الرّمق: الله الحي<sup>(104)</sup>.

وأبلغ من ذلك ما يرويه عنه تلميذه الرعيّني<sup>(105)</sup>، ولعله انتخبه من مجموعته الشعري في المواعظ، إذ أنشد لنفسه يخاطبها مذكرا:

لا يغرّك يا محمد ليلٌ      بتّ فيه على فراشٍ وثيرٍ  
ناعم البال مطمئنًا فلا بدّ      من التّعش بعد هذا السّريرِ

وتذكر بني أليك سليمان ذوي ألجاء والعديد الكثير  
 كم فتى منهم وكهل وشيخ ألدته كفك بين القبور  
 قلّم الزاد للمعاد ولا تنس إذا ما بطشت بطش القدير  
 وأتق الله واغتم هذه الأيام واعمل لول يوم التّشور  
 قد أتاك التذير يدعوك جهراً فازجر النفس واسمعن للتذير

ولا يسعنا في ختام هذه المحاولة، التي تطلعا من خلالها إلى رسم صورة عن المشهد الثقافي في مجتمع الغرب الإسلامي عموما، ومجتمع تلمسان وأحوازا خصوصا، وذلك عبر تتبع حياة أحد أبرز الأعلام المنحدرين من هذه الحاضرة العريقة، إلا أن نخلص إلى تسجيل الملاحظات الآتية:

- 1- ثراء المشهد الثقافي في الحقبة الموحدية، يقوم شاهدا عليه جملة عناصر من أهمها: تنوع العلوم والمعارف، وتآصل الطرائق والمناهج، ورواج الكتابة والتأليف.
  - 2- نشاط الحركة الثقافية بمدينة تلمسان، التي أضحت منذ القرن 11م/11هـ قلة للعلماء، والمحدثين، وحملة الرأي على مذهب مالك، وما فتت ترداد تألقا واستقطابا.
  - 3- التواصل بين أجيال المثقفين، ويتجلى ذلك من خلال الحرص على استفادة العلم وإفادته، وتنشيط خلق الدرس والمناظرة، والاتجاه نحو تكريس تقليد الإجازة العلمية.
  - 4- التلاقح بين الثقافتين المشرقية والمغربية بلغ مستوى من الإيجابية والفاعلية، يعكسه ما تتركه به كتب البرامج والفهارس من أسماء الشيوخ والأساتيد، والمقروءات والأسانيد.
  - 5- قيام الفقهاء (مقفني العصر) في مجتمع الغرب الإسلامي كوسيط بين السلطة والرعية، ما أتاح لهم التأثير في القرار السياسي من جهة، والسعي في مصالح الرعية من جهة ثانية.
- هوامش البحث:

(\*) ابن الأثير: الحكمة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام المراس، بيروت: دار الفكر، 1995، 2/165. وجاءت "العفري" لدى ابن الزبير في صلة الصلة، تحقيق: عبد السلام المراس وسعيد أعراب، الرباط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 93-1994، 29/3. بينما نقرأها "العفري" لدى ابن عبد الملك في الذيل والحكمة لكتابي الموصول والصلة: السفر الثامن، تحقيق: محمد بن شرفه، الرباط: منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1984، 317/8. لكن إذا أدخلنا في اعتبارنا أن محقق صلة الصلة نبها على أنها وردت "الفري" في النسخة المخطوطة، وأن محقق الذيل والحكمة رجح أن تكون "الفري" اعتمادا على ذلك،

تدعم اقتناعا بما أثبتنا أعلاه.

(2) ابن عبد الملك: الذيل والحكمة، 317/8؛ ويحيى بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، الجزائر: المكتبة الوطنية، 1980، 112/1.

(3) تصحفت إلى "الكوفي" لدى الذهبي في سير أعلام النبلاء، نشر بعناية: محمد بن عيادي، ط01، القاهرة: مكتبة الصفا، 2003، 138/13.

(4) ابن الأثير: التكملة، 165/2؛ وابن عبد الملك: الذيل والحكمة، 317/8.

(5) ابن الأثير: التكملة، 165/2؛ وابن الزبير: صلة الصلة، 29/3.

(6) كومية من قبائل زناتة التي اسقطت المغرب الأوسط، وكانت موطنها الأولى تمتد فيها بين البحر المتوسط إلى الشمال ونواحي تلمسان إلى الجنوب. وعلى ما كانت عليه من وفرة العدد، إلا أنها كانت خاملة الذكر قبل عصر الموحدين. يراجع ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، 151-149/6؛ وأيضا الدراسة التي أنتجها التقي العلوي: "أصول المغاربة - القسم البربري"، مجلة البحث العلمي (الرباط)، ع 1982/33، ص 84-86.

(7) سير أعلام النبلاء، 138/13.

(8) ابن الأثير: التكملة، 124/3.

(9) عبد الواحد المراكشي: العجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة: دار الفرجاني، 1994، ص 169.

(10) المصدر السابق، ص 169.

(11) العبر، 150/6.

(12) ابن الأثير: التكملة، 166/2.

(13) ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، نشر: ج. برجستراسر، ط03، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982، 159/2.

(14) برنامج شوخ الرعي، تحقيق: إبراهيم شوح، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1962، ص 171.

(15) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (القسم الخاص بالموحدين)، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985، ص 22-23؛ ومؤلف مجهول: الحلال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1979، ص 135.

(16) صلة الصلة، 29/3. وعلى أن الذهبي ترجم له -أيضا- في وفيات 623هـ، لكنه عاد فترجم له في وفيات 625هـ. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان، تحقيق: بشار عواد معروف، ط01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003، 751/13، 802.

(17) ابن الأثير: التكملة، 166/2؛ والرعي: برنامج شيوخه، ص 171؛ وابن عبد الملك: الذيل والحكمة، 317/8؛ وابن قفط: كتاب الوفيات، تحقيق: عادل توبهض، ط03، بيروت: دار الآفاق الجليدية، 1980، ص 310؛ والحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1991، 237/2.

- (18) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، 198/1؛ والتبسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان؛ مقتطف من كتابه: نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود بويعاد، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص111.
- (19) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، 112/1؛ والحفناوي: تعريف الخلف، 237/2.
- (20) ابن الزبير: صلة الصلة، 29/3.
- (21) ابن عبد الملك: النيل والتكملة، 317/8.
- (22) المصدر السابق، 317/8. وعنه كل من يحيى بن خلدون في بغية الرواد، 112/1؛ والتعارجي في الإعلام بمن حل مراكز وأغامت من الأعلام، فاس: المطبعة الجديدة، 1938-36، 98/3.
- (23) تلقى عنه مبادئ الفقه واللغة. ابن الأثير: التكملة، 165/2.
- (24) قال عنه: "صحته، وسمعت منه، وأمتعتي بخديته". ابن عبد الملك: النيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة؛ السفر السادس، تحقيق: إحسان عباس، ط01، بيروت: دار الثقافة، 1973، 39/6.
- (25) أو ابن أبي جَوْن، حسب الرعيني في برنامج شيوخه، ص170.
- (26) تصحّف إلى ابن الجَهَّار في التكملة، 165/2. وذكره الرعيني ضمن أساتذة شيخه في قوله: "... والأستاذ أبو علي حسن بن عبد الله بن أحمد بن محمد القيسي". برنامج شيوخه، ص169.
- (27) أخذ عنه القراءات والنحو، وذلك في حدود سنة 1156هـ/1551م. النهي: سير أعلام النبلاء، 138/13؛ وابن الجوزي: غاية النهاية، 159/2.
- (28) ورد "ابن مجبر" في تعريف الخلف للحفناوي، 237/2، والصواب ما أتينا، ويشهد له ترجمة المذكور في الشوف إلى رجال التصوف، للتادلي، تحقيق: أحمد التوفيق، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1984، ص179.
- (29) ذكر ابن الجوزي أبا الحسن بن حسين، ويفهم منه أنه أبو الحسن اللواتي المذكور، لكن أتبعه بالقول إنه من أصحاب ابن الطلاع، وهو ما لا ينطبق عليه، لكن ينطبق على سميّه أبي الحسن بن حنين، فيبدو أن "حنين" تصحّفت إلى "حسين". يراجع ابن الجوزي: غاية النهاية، 159/2؛ ويقابل بابن الأثير: التكملة، 210/3، 244.
- (30) ساقه الرعيني مسوقاً بأبي عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي، وهما -كما لا يخفى- شخص واحد، فلعله وهم، أو أنه من فعل الناسخ، أو اختق. برنامج شيوخ الرعيني، ص170؛ ويقابل بابن الزبير: صلة الصلة، 21/3.
- (31) عنى المغاربة والأندلسيون بالإجازة، وعدوها من أبواب التحمل التي لا غنى عنها لطالب العلم للمستريد، ومن صور توسعهم فيها سؤال بعض الفقهاء أبا الوليد بن رُشد (ت 1126هـ/1126م) أن يميزه "جميع ما يحمله من الكتب المولقة في ضروب العلم بأي وجه حمل ذلك، من قراءة، أو سماع، أو مناولة، أو إجازة، وجميع ما ألّفه، أو وضعه، أو أجاب فيه، في القديم والحديث"، استجاز ذلك له، ولكل من أحب الحمل عنه من المسلمين. يراجع ابن خير: فهرسة ما رواه عن شيوخه، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري-بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1989، 589/2. وقد ختم المؤلف كتابه يباب في "تسمية الشيوخ الذين رويت عنهم، وأجازوا لي لفظاً وخطاً، ممن لقيته، ومن لم ألّفه رحيم الله".
- (32) سَمَاه الرعيني: أبا الطاهر إسماعيل بن علي بن بشر النحوي المصري. برنامج شيوخه، ص170؛ وورد عند السيوطي: أبو الطاهر إسماعيل بن علي بن أبي مقشر النحوي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، 1965-64، 451/1.

- (33) حسب الغبريني في عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ييجاية، تحقيق: رابح بونار، ط2، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص183. ولعل الصواب "القرداوي"، كما في ابن الأثير: التكملة، 197/2؛ وابن عبد الملك: الذيل والتكملة، 387/8.
- (34) نص الغبريني في ترجمته على أن أبا عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني كان ممن أخذ عنه حين قدومه لتلمسان سنة 1188/584م. عنوان الدراية، ص184.
- (35) أشار الغبريني ضمن برنامج مشيخه الذي ألحقه بآخر كتابه: عنوان الدراية، ص310، أنه يروي كتاب "الكشف والبيان في تفسير القرآن" لأبي إسحاق أحمد بن محمد التعليبي بسنده إلى أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني عن أبي الحسن علي بن عتيق بن مؤمن الأنصاري.
- (36) الرعي: برنامج شيخه، ص169.
- (37) ابن قفط: كتاب الوفيات، ص310.
- (38) الذهبي: سير أعلام النبلاء، 138/13.
- (39) ابن الجزري: غاية النهاية، 159/2.
- (40) الرعي: برنامج شيخه، ص169.
- (41) الذيل والتكملة، 318/8.
- (42) روى عنه كتابه "المختار الجامع بين المتقى والاستذكار"، فضلا عن كتابي: "الكشف والبيان في تفسير القرآن" لأبي إسحاق أحمد بن محمد التعليبي؛ و"أحكام القرآن" لأبي الحسن علي بن محمد الطبري. الغبريني: عنوان الدراية، ص310، 314.
- (43) أقره الغبريني في المصدر السابق، ص193.
- (44) أقره يحيى بن خلدون في بغية الرواد، 102/1.
- (45) قال الرعي: "أجاز لي جميع ما يحمله، وما ألّفه، وما له من نظم ونثر". برنامج شيخه، ص169.
- (46) ابن الجزري: غاية النهاية، 159/2.
- (47) الغبريني: عنوان الدراية، ص219.
- (48) سورة فاطر: الآية 10.
- (49) الغبريني: عنوان الدراية، ص219-220.
- (50) المصدر السابق، ص221.
- (51) المصدر السابق، ص221.
- (52) فهرسة شيخه، 30-28/1.
- (53) التكملة، 166/2.
- (54) الذيل والتكملة، 318/8؛ وجابهه على ذلك يحيى بن خلدون في بغية الرواد، 112/1؛ والحفناوي في تعريف الخلف، 237/2.
- (55) عنوان الدراية، ص189.
- (56) صلة الصلة، 29/3.
- (57) التكملة، 121/2.

- (58) النيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة؛ السفر الأول، تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت: دار الثقافة، د.ت.، 11/1.
- (59) عنه النهي من "أهل التصنيف". تاريخ الإسلام، 751/13.
- (60) صلة الصلة، 29/3.
- (61) برنامج شيوخ الرعي، ص 170.
- (62) النيل والتكملة، 318/8.
- (63) ذكره ابن الأبار في التكملة، 166/2؛ والرعي في برنامج شيوخه، ص 170.
- (64) اشتهر بعنوان "الإقحاف في ترتيب السماع". يراجع الرعي: برنامج شيوخه، ص 170؛ وابن عبد الملك: النيل والتكملة، 317/8.
- (65) مما ذكره -أيضا- الرعي في برنامج شيوخه، ص 170.
- (66) ذكر النهي أن من تصانيفه "غريب الموطن". سير أعلام النبلاء، 138/13.
- (67) قال ابن الأبار: وله تواليف في فون؛ منها "الاقضاب في غريب الموطن وإعرابه". التكملة، 166/2.
- (68) ويرد أحيانا بعنوان: "المختار في الجمع بين المتقى والاستذكار"، أو "الجامع المختار من المتقى والاستذكار". والكتاب في فقه الحديث يستمد مادته من كتابي: "المتقى" للباجي (ت 474هـ/1081م)، و"الاستذكار" لابن عبد البر (ت 463هـ/1071م)، وتتفق المصادر على أنه من أجل مؤلفات ابن عبد الحق وأحفله. يراجع ابن الأبار: التكملة، 166/2؛ والنهي: سير أعلام النبلاء، 138/13؛ وابن قفط: الوفيات، ص 310؛ وابن الجزري: غاية النهاية، 159/2؛ والحفاوي: تعريف الخلف، 137/2.
- (69) يروى في ترجمة أبي عبد الله بن زرقون (ت 586هـ/1190م) أنه اختصر "المتقى" أنبل اختصار، وجمع بينه وبين "الاستذكار"، وتمم فيه ما رأى تميمه، واستترك ما اقتضى نظره استراكه، وتبّه على مواضع يجب التنبيه عليها. النيل والتكملة، 204/6.
- (70) وفي سير أعلام النبلاء للنهي، 138/13، أنه يقع في عشر مجلدات. لكن ربما تعلق الأمر بتصنيف، إذ أن ابن الجزري ينقل عن النهي في غاية النهاية، 159/2، أن الكتاب يقع في عشرين مجلدا. ويدعو أن إسماعيل البغدادي اطلع على الروايتين معا، فأثبت الرواية الأولى في كتابه إيضاح المكون في النيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، 357/1، ثم عاد عنها، وأثبت الرواية الثانية في كتابه -الآخر- هدية العارفين إلى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، 112/2.
- (71) وردت إشارة إلى أنه يوجد من الكتاب المجلدان الأول والسادس، مخطوطان، في خزانة القرويين بفلس (الرقم 174)، ومنه -أيضا- مجلد ضخم قديم في خزانة الرباط (176 أوقاف). الزركلي: الأعلام، ط 09، بيروت: دار العلم للملايين، 1990، 186/6.
- (72) اخفوظ لنا من شعره مقطوعات نادرة، من مثل ما قاله -على سبيل النظم- في عدّ أحاديث صحيح البخاري:
- جَمِيعُ أَحَادِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي رَوَى  
الْبُخَارِيُّ خَمْسَةُ وَسَبْعُونَ فِي الْعَدِّ  
وَسَبْعَةُ آلَافٍ تُضَافُ وَمَا مَضَى  
إِلَى مَائَتَيْنِ عَدَّ ذَلِكَ أَوَّلُ الْجَدِّ
- الرعي: برنامج شيوخه، ص 170؛ ويحيى بن خلدون: بغية الرواد، 112-113؛ والتعرجي: الإعلام، 99/3.
- (73) ذكره ابن الأبار في التكملة، 166/2.

- (74) يعرفه المتأخرون بعنوان "السلي عن الرزية والتحلي برضى باري البرية". يراجع حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي كتب والقون، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992، 404/1؛ وإسماعيل البغدادي: هدية العارفين، 112/2.
- (75) ابن عبد الملك: النبل والتكملة، 318/8-319.
- (76) المصدر السابق، 320/8. ويمكن مقارنته بما أورده المؤلف في السفر الأول، 114/1، في ترجمة الفقيه أبي العباس بن خليل.
- (77) السكوني البلي الإشبيلي (ت 581هـ/1155م) حول المسألة نفسها.
- (78) المصدر السابق، 320/8.
- (79) هدية العارفين، 112/2، ويتابعه على ذلك عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين، ط01، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993، 3863؛ وعادل نويهض في معجم أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر -، ط02، بيروت: مؤسسة نويهض فنية، 1980، ص77.
- (80) نشر ديوان نظم العقود ورقم الحلل والبرود، بتحقيق: محمد بن تاووت الطنجي، وسعيد أعراب، ومحمد بن العباس القباج، ومحمد بن تاووت التطواني، وصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس.
- (81) راجع مقدمة الديوان.
- (82) ابن الأثير: التكملة، 166/2؛ وابن عبد الملك: النبل والتكملة، 318/8؛ وابن الزبير: صلة الصلة، 29/3.
- (83) يستفاد ذلك من ترجمة والده التي انفرد بها ابن الأثير في التكملة، 125/3.
- (84) المصدر السابق، 125/3.
- (85) الغريبي: عنوان الدراية، ص73؛ وابن الزبير: صلة الصلة، 05/4.
- (86) ابن الأثير في التكملة، 81/2.
- (87) ابن الأثير: التكملة، 166/2؛ وابن الزبير: صلة الصلة، 29/3؛ وابن الجزري: غاية النهاية، 159/2.
- (88) ابن عبد الملك: النبل والتكملة، 320/8؛ ويحيى بن خلدون: بغية الرواد، 112/1؛ والتعرجي: الإعلام، 99/3.
- (89) ابن عبد الملك: النبل والتكملة، 320/8؛ والحفناوي: تعريف الخلف، 237/2.
- (90) ابن الزبير: صلة الصلة، 29/3.
- (91) ابن عبد الملك: النبل والتكملة، 320/8؛ ويحيى بن خلدون: بغية الرواد، 112/1؛ والحفناوي: تعريف الخلف، 237/2.
- (92) ابن الأثير: التكملة، 166/2؛ والنهي: تاريخ الإسلام، 802/13؛ والحفناوي: تعريف الخلف، 237/2.
- (93) السبكي: معيد النعم وميد النقم، تحقيق: محمد علي التجار وآخرين، ط02، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1993، ص68.
- (94) ابن عبد الملك: النبل والتكملة، 151/6.
- (95) ابن عبد الملك: النبل والتكملة، 228/1-229، 281؛ وابن عناري: البيان المغرب، ص358.
- (96) ابن عبد الملك: النبل والتكملة، 320/8.
- (97) ابن الأثير: التكملة، 166/2؛ ويحيى بن خلدون: بغية الرواد، 112/1؛ والحفناوي: تعريف الخلف، 237/2.
- (98) ابن عبد الملك: النبل والتكملة، 320/8.
- (99) النهي: تاريخ الإسلام، 751/13.
- (100) انتظم كتاب التشوف للتادلي (ت 628هـ/1230م) ما لا يقل عن ثلاثين ترجمة لفقهاء، يرى المؤلف أن اسم "الصوفي" يصلح على جميعهم.

- (100) ابن الجوزي: غاية النهاية، 2/159.
- (101) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، 1/112.
- (102) ابن الأبار: التكملة، 2/166.
- (103) لا يرد في الصحيحين ولا في السنن، وورد لدى الغزالي في إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، د.ت.، 1/303، 4/178، لكن ليس بوصفه حديثاً.
- (104) عنوان الدراية، ص 61.
- (105) برنامج شيوخه، ص 170-171.

